Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 42:2 (2007)

شبهة القول بالصرفة والرّد عليها

الضيف بن رابح نطور

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، ليكون معجزة كبرى في يد رسولنا الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فتحدى به أساطين البلاغة والفصاحة في ذلك الوقت من نفس الجنس الذي نبغوا فيه كما تحدى موسى عليه السلام ـ بتأييد من ربه ـ السحرة الذين وصلوا في علم السحر إلى أعلى المراتب، وكما تحدى عيسى عليه السلام علماء الطب في زمانه بإحيائه الموتى بإذن الله وإبرائه الأكمه والأبرص بإذنه عز وجل.

وقد اختلف العلماء في بيان أوجه إعجاز القرآن الكريم فذكر القرطبي[١] عشرة أوجه، منها: الأسلوب المخالف لأساليب العرب والنظم البديع والجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، والأخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله والأخبار عن المغيبات في المستقبل[٢] ... إلخ.

١- هو محمد بن أحمد أبي بكر عبد الله القرطبي من العلماء العارفين، توفي سنة ٦٧١هـ انظر: الداوودي، **طبقات المفسرين**، دارالكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٦٩ ـ ٧١.

٢- انظر القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، مكتبة الغزالي، دمشق، ج ١، ص ٧٣ـ ٧٥.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

وذكر القاضي عياض[٣] أربعة أوجه، منها: حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته. ومنها: صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها. ومنها: ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع. ومنها: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة... [٤].

كما ذكر السيوطي[٥] أوجها كثيرة لإعجاز القرآن نقلها عن مجموعة كبيرة من العلماء[٦]. وتكلم الدهلوي[٧] عن أوجه الإعجاز فذكر ـ على وجه التفصيل ـ الأسلوب والأخبار والقصص والأحكام والملل السابقة والدرجة العليا من بلاغة القرآن ... وذكر على وجه الإجمال العلوم الخمسة وهي: علم الأحكام وعلم المخاصمة وعلم التذكير بآلاء الله، وعلم التذكير بأيام الله، وعلم التذكير بالموت وما بعد الموت[٨].

٣- هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض .. ولد في النصف من شعبان سنة ٤٧٦هـ، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ، وكان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مطبعة أمير قم، منشورات الشريف الرضا، قم، إيران، ط ٢، ١٣٦٤هـ، ج ٣ ص ٤٨٣. وانظر: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ١٤٨.

٤- انظر: القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م/ ١٤٠٩هـ، ج ١، ص ٢٥٨-٢٧٠.

٥- هو عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين أبو الفضل السيوطي، ولد في رجب سنة ٨٤٩هـ وتوفي في جمادى الأولى سنة ٩١١هـ. انظر: الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج ١، ص ٣٢٨ ـ ٣٣٥.

٦- انظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج ٤، ص ٦-١٧.

٧- هو أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي الهندي، ولد سنة ١١١٠هـ وتوفي سنة ١١٧٦هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٧، ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٤٩.

٨- انظر: الدهلوي، **الفوز الكبير في علم التفسير**، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان، ص ٨٧-٨٩.

وقد أوصل الزرقاني[٩] أوجه إعجاز القرآن إلى أربعة عشر وجهاً[١٠]. لكن هناك من العلماء من اعتبر أن إعجاز القرآن راجع إلى وجه آخر غير الوجوه التي سبق ذكرها وبيانها وهو وجه الصرفة. أو اعتبر الصرفة وجها آخر من وجوه الإعجاز.

وما دام بحثي يدور حول موضوع الصرفة ويتناوله فإنه ينبغي عليّ أن أعرّف بالصرفة في اللغة والاصطلاح وأبيّن مصدر القول بها، قبل أن أشرع في الفصل الأول من هذا البحث ببيان مَنْ مِن العلماء قالوا بالصرفة وما هي الأدلة التي استندوا عليها. ثم مناقشة أدلتهم في الفصل الثاني والرد عليها رداً علمياً.

تعريف الصّرفة لغة:

الصّرفة مأخوذة من الصَّرف. والصّرف: رد الشيء عن وجهه، وصرفه يصرفه صرفا فانصرف وصارف نفسه عن الشيء: صرفها عنه. وصرفت الرجل عني فانصرف. والصَّرف أيضاً: أن نصرف إنسانا عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك[١١].

تعريف الصّرفة اصطلاحاً:

"هي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقا للعادة"[١٢]. وقد ذكر يحيى بن حمزة العلوي ثلاثة تفسيرات لمفهوم الصرفة، ونظراً لأهميتها فَإنني سأوردها كاملة إتماماً للفائدة، فقال: "واعلم أن قول أهل الصرفة يمكن أن يكون له تفسيرات ثلاثة لما فيه من الإجمال وكثرة الاحتمال كما

٩- هو محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٦، ص ٢١٠.

١٠- انظر: الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الفكر، بيروت، ج ٢، ص ٣٣٢-٤١٢.

١١- انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ج ٩، ص ١٨٩. وانظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٢- المصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الفكر العربي، بيروت، ص ١٤٤.

سنوضحه".

التفسير الأول:

أن يريدوا بالصّرفة أن الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة مع أن أسباب توفر الدواعي في حقهم حاصلة من التقريع بالعجز والاستنزال عن المراتب العالية والتكيف بالانقياد والخضوع ومخالفة الأهواء.

التفسير الثاني:

أن يريدوا بالصرفة أن الله تعالى سلبهم العلوم التي لابد منها في الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه، ثم إن سلب العلوم يمكن تنزيله على وجهين: أحدهما أن يقال: إن تلك العلوم كانت حاصلة لهم على جهة الاستمرار، لكن الله تعالى أزالها عن أفئدتهم ومحاها عنهم. وثانيهما أن يقال: إن تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم، خلا أن الله تعالى صرف دواعيهم عن تجديدها مخافة أن تحصل المعارضة.

التفسير الثالث:

أن يراد بالصَّرفة أن الله تعالى منعهم بالإلجاء على جهة القسر عن المعارضة مع كونهم قادرين، وسلب قواهم عن ذلك فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة، وحاصل هذه المقالة: أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن، إلا أن الله تعالى منعهم بما ذكرناه ....(١٣).

وقد ردَّ العلوي على هذه التفسيرات الثلاثة بثلاثة براهين لا مجال لذكرها الآن، وسأستعين بها في الرد على القائلين بالصرفة في الفصل الثاني من هذا البحث إن شاء الله.

مصدر القول بالصّرفة:

يعود هذا القول إلى العصر العباسي حينما تأثّر بعض المتكلمين والفلاسفة من

١٣- يحيى بن حمزة بن علي العلوي، **كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، مكتبة المعارف، الرياض، ج ٣، ص ٣٩١، ٣٩٢.

المسلمين بالأفكار الهندية الدخيلة عليهم حيث وقفوا على أقوال البراهما في كتاب **الفيدا** الذي يحوي أشعاراً ليس في كلام الناس ما يشبهها أو يماثلها ـ حسب زعمهم ـ وأن البشر عاجزون على أن يأتوا بمثلها لأن براهما صرفهم عن ذلك، لكن خواص علمائهم يقولون: إنهم قادرون على أن يأتوا بمثلها لكنهم ممنوعون من ذلك احتراما وتقديراً لها.

ونتيجة تأثر أولئك الفلاسفة والمتكلمين في العصر العباسي بهذه الأفكار الدخيلة، أسقطها بعضهم على القرآن الكريم وراحوا يطبقونها عليه!! فزعموا أن سبب عجز العرب على أن يأتوا بمثل القرآن راجع إلى أن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله، أو سلب منهم العلوم التي كانوا يتمتعون بها قبل نزول القرآن فلم يصبحوا قادرين على الرد حين تحداهم. ولولا هذا الصرف أو السلب أو هما معاً لتمكّنوا من الكتابة بما يماثل السور والآيات القرآنية(١٤).

الفصل الأول: أشهر القائلين بالصرفة وآراؤهم في ذلك:

إن أشهر الأقوال بالصرفة يرجع إلى بعض رجال المعتزلة وإلى بعض رجال الشيعة، كما يعود إلى بعض رجال أهل السنة. وسأكتفي بذكر أشهر رجلين من كل فرقة قالا بالصرفة وأبيّن آراءهم جميعاً في ذلك، وسأترك الرد عليهم إلى الفصل الثاني من هذا البحث إن شاء الله.

المبحث الأول: أشهر القائلين بالصَّرفة من المعتزلة:

إن أشهر وأبرز من قال بالصرفة من فرقة المعتزلة هما:

١٤- انظر: مصطفى مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ص ٥٢، ٥٣ بتصرف.

أولاً: النظَّام(١٥):

وإليه تنسب فرقة النظامية، وقد اقترن اسم الصرفة باسمه وهو أبرز القائلين بها، ويرى أن إعجاز القرآن يمكن بما فيه من الأخبار بالغيوب فقط، أما التأليف والنظم فيقدر عليه ـ حسب رأيه ـ العباد بل يستطيعون أن يأتوا بأحسن منه!! لولا أن الله صرفهم عن ذلك، فيقول: "إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي عليه السلام ولا دلالة على صدقه في دعوة النبوة وإنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الأخبار عن الغيوب، فأما نظام القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف"(١٦).

وتكلم أبو الحسن الأشعري(١٧) عن النظّام وأورد قوله بالصرفة فقال: "وقال النظّام: الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"(١٨).

١٥- هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق المعروف بالنظام، كان ينظم الخرز في سوق البصرة ولأجل ذلك قيل له النظّام. أعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف فأنكر إعجاز القرآن في نظمه وقال بالصرف وأنكر الإجماع والقياس، وطعن في فتاوى أعلام الصحابة رضي الله عنهم، كفّره بعض علماء المعتزلة وبعض أهل السنّة. وقد فضحه البغدادي في إحدى وعشرين فضيحة. انظر: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، بدون تاريخ وبدون ذكر الطبع، ص ١١٣ـ ١٣١. وانظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ١، ص ٤٣.

١٦- انظر: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، ص ١٢٨. وقد أورد البغدادي قول النظام في الصّرفة عند كلامه عن الفضيحة الخامسة عشرة من فضائحه، انظر: البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص ١٢٨ وما بعدها.

١٧- هو علي بن إسحاق أبو الحسن، مؤسس مذهب الأشاعرة، ولد سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م، توفي في بغداد سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م. وكان من الأئمة المتكلمين. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٤، ص ٢٦٣.

١٨- انظر: أبو الحسن الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٩هـ/١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٩٦.

ثانياً: الرماني(١٩):

تكلم أبو الحسن الرماني عن إعجاز القرآن الكريم، وبيَّنَ بأن الإعجاز يمكن في سبعة أوجه أو جهات وذكر من بينها الصرفة، فقال: "وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة"(٢٠).

ثم قدم كلامه عن البلاغة وجعلها على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة وهو المعجز، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط ... وقد جعل بلاغة القرآن الكريم في أعلى طبقة، ثم قسم البلاغة إلى عشرة أقسام وتناولها قسما قسما بالتفصيل. وبعد انتهائه من ذكر وجه البلاغة، تكلم عن الوجوه الأخرى في الإعجاز، فذكر الصرفة واعتبرها أحد وجوه الإعجاز عنده وعند أصحابه من المعتزلة. فقال: "وأما الصَّرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة. وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، ذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة. وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول"(٢١).

المبحث الثاني: أشهر القائلين بالصَّرفة من الشيعة:

إن أشهر من قال بالصرفة من فرقة الشيعة واعتبرها وجها لإعجاز القرآن الكريم هما:

١٩- هو علي بن عيسى بن عبد الله أبو الحسن الرماني، باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة، ولد سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م وتوفي سنة ٣٨٣هـ/٩٩٤م. وكان مولده ووفاته ببغداد. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٤، ص ٣١٧.

٢٠- الرماني، **النكت في إعجاز القرآن**، (في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص ٧٥-٧٦.

٢١- نفس المصدر، ص ١١٠.

أولاً: ابن سنان الخفاجي(٢٢):

اعتبر الخفاجي الصرفة هي الوجه في إعجاز القرآن الكريم وادّعى بأن الله تعالى قد صرف العرب عن معارضة القرآن بسلبهم العلوم التي يتمتعون بها قبل نزول القرآن، فقال: "وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك"(٢٣).

وذكر في موضع آخر من كتابه **سر الفصاحة** عند كلامه عن فصاحة القرآن. أن القول بالصرفة هو المذهب الذي يعول عليه أهل هذه الصناعة وأرباب هذا العلم؛ فقال: "فإن قيل: الذي يمنع أن يكون بعض القرآن أفصح من بعض القول بأن قدر كل سورة من قصار سور المفصّل منه قد خرق العادة في الفصاحة بفصاحته، وكان معجزاً لعلوه في الفصاحة، وما كان خارقا للعادة في الفصاحة لا يكون غيره أفصح منه، قيل: الجواب عن هذا أولاً: أن الصحيح أن وجه الإعجاز هو صرف العرب عن معارضته وأن فصاحته قد كانت في مقدورهم لولا الصرف وهذا هو المذهب الذي يُعوَّل عليه أهل هذه الصناعة وأرباب هذا العلم وقد سُطر عليه من الأدلة ما ليس هذا موضع ذكره، فالسؤال على هذا المذهب ساقط..."(٢٤).

٢٢- هو عبد الله بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي، ولد سنة ٤٢٣هـ/١٠٣٢م وتوفي سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م، وقد كان شاعراً، أخذ الأدب عن أبي العلاء وغيره وكانت له ولاية بقلعة "عزاز" من أعمال حلب ... فاحتيل عليه بإطعامه "خشكناية" مسمومة، فمات وحمل إلى حلب ... وكان يرى رأي الشيعة الإمامية. له **ديوان شعر** و **سر الفصاحة**. انظر: محمد بن شاكر الكبتي، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج ٢ ص ١٢٠-١٢٤.

٢٣- انظر: الخفاجي، **سر الفصاحة**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر، مصر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٨٩.

٢٤- انظر: الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص ٢١٦، ٢١٧.

ثانياً: الشريف المرتضى(٢٥):

نقل عنه بعض العلماء أنه يقول بالصرفة، ومعنى الصرفة عنده هي أن الله سلب العرب العلوم التي بواسطتها يستطيعون معارضة القرآن ولولا هذا السلب ـ حسب زعمه ـ لاستطاع العرب مماثلة القرآن في الكتابة.

قال مصطفى صادق الرافعي(٢٦): "قال المرتضى من الشيعة: بل معنى الصرفة أن الله سلبهم العلوم .. التي يحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن"(٢٧).

المبحث الثالث: أشهر القائلين بالصَّرفة من أهل السنة:

إن أشهر من قال بالصَّرفة ـ فيما أعلم ـ من أهل السنة، أو نسب إليهما القول بها هما:

أولاً: ابن حزم الأندلسي(٢٨):

نسب ابن حزم إلى القائلين بالصرفة لأنه يرى أن الله تعالى منع العرب من معارضة القرآن الكريم، وتولى منع الخلق من مثله، وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق، وأن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً(٢٩). وقد تكلم عن أوجه إعجاز القرآن الكريم

٢٥- هو علي بن الحسين الشريف المرتضى، أديب متكلم، ولد ببغداد سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م ومات بها سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م. وكان إمامياً متبحّراً في الكلام والفقه والحديث والتفسير والأدب واللغة وألف فيها كتباً عرفت عند الإمامية خاصة مثل **الشافي في الإمامة والانتصار** . انظر: ياسين صلاواتي، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**، مؤسسة التاريخ العربية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج ٥، ص ٢١٩٤.

٢٦- هو مصطفى صادق الرافعي، أديب وشاعر، ولد سنة ١٨٨٠م وتوفي بطنطا بمصر سنة ١٩٣٧م. انظر: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١٢، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

٢٧- مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الفكر العربي، ص ١٤٤.

٢٨- هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد في قرطبة عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م، نشأ على حب الأدب والشعر ثم تحول إلى دراسة الفقه والنبوغ فيه، توفي سنة ١٠٦٣م، انظر: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ٢٩٩.

٢٩- انظر: ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج ٢، ص ٤٨-٥١.

وناقشها ومما ذكره في ذلك قوله: "والنحو الرابع: ما وجه إعجازه؟ فقالت طائفة: وجه إعجازه كونه في أعلى مراتب البلاغة. وقالت طائفة: إنما وجب إعجازهُ لأن الله تعالى منع الخلق من القدرة على معارضته فقط"(٣٠).

وقد رد ابن حزم على من قال: إن إعجاز القرآن في أعلى رتب البلاغة، وأيد قول من قال بأن إعجازه راجع إلى أن الله تعالى منع الخلق من القدرة على معارضته فقط، وتبنى هذا القول فقال: "فأما الطائفة التي قالت إنما إعجازه لأنه في أعلى رتب البلاغة فأنهم شغبوا في ذلك بأن ذكروا آيات منه مثل قوله تعالى: {**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**}(٣١) ونحو هذا، وموَّه بعضهم بأن قال: لو كان ما تقولون من أن الله تعالى منع من معارضته فقط لوجب أن يكون أغث ما يمكن أن يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ.

قال أبو محمد(٣٢): "ما نعلم شغباً غير هذين وكلاهما لا حجة لهم فيه. أما قولهم لو كان كما لو قلنا(٣٣) لوجب أن يكون أغث ما يمكن أن يكون من الكلام وكانت الحجة بذلك أبلغ، فهذا هو الكلام الغث حقاً لوجوه"(٣٤). وردّ عليهم بثلاثة وجوه أذكرها ملخصاً:

الأول: أن هذا القول بلا برهان.

الثاني: أنه لا يسأل الله تعالى عما يفعل ولا يقال له لم عجَّزْت بهذا النظم دون غيره؟ ولم أرسلت هذا الرسول دون غيره؟ ولم قلبت عصا موسى عليه السلام حية دون أن تقلبها أسداً؟..

الثالث: إنهم حين طردوا سؤالهم ربهم بهذا السؤال الفاسد لزمهم أن يقولوا: هلا كان هذا الإعجاز في كلام الله بجميع اللغات فيستوي في معرفة إعجازه العرب والعجم؟

٣٠- نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٨.

٣١- سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

٣٢- هو ابن حزم نفسه، سبقت ترجمته.

٣٣- الضمير يعود على ابن حزم نفسه.

٣٤- ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج ٢، ص ٤٩.

ثم رد ابن حزم على قولهم بالإعجاز في البلاغة حين اختاروا بعض الآيات دون غيرها للاستدلال، فذكر بأن هذا يؤدي بهم إلى إثبات بأن القرآن معجز وغير معجز ومن قال بهذا فقد كفر. وذكر بأنه لابد لهم أن يرجعوا إلى قوله بأن وجه الإعجاز يكمن في أن الله منع من معارضته فقط فقال: "فلابُدَّ لهم من هذه الخطة أو من المصير إلى قولنا: إن الله تعالى منع من معارضته فقط"(٣٥). ثم طرح سؤالاً وأجاب عليه مدعماً رأيه الذي ذهب إليه فقال: "فإن قالوا: فقولوا أنتم هل القرآن موصوف بأنه على درج البلاغة أم لا؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق: إن كنتم تريدون أن الله تعالى قد بلغ به ما أراد به، فَنَعم هو بهذا المعنى في الغاية التي لا شيء منها. وإن كنتم تريدون هل هو في أعلى درج بلاغة المخلوقين فلا. لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه، وبرهان هذا أن إنسانا لو أدخل في رسالة أو خطة أو تأليف أو موعظة حروف الهجاء والمقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك، فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً، وأن الله تعالى تولى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق"(٣٦). ثم برهن عن كلامه هذا بآيات قرآنية(٣٧) ثم قال: "وكان هذا كله إذا قاله غير الله تعالى غير معجز بلا خلاف إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام إن كلام غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاماً له أصاره معجزاً ومنع من مماثلته. وهذا برهان كافٍ لا يحتاج إلى غيره والحمد لله"(٣٨).

٣٥- ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج ٣، ص ٢٨.

٣٦- نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٨.

٣٧- الآيات القرآنية التي أوردها واستدل بها هي: ٢٤، ٢٥ – ٤٣، ٤٤ من سورة المدثر. والآيتان: ٩٠، ٩٣ من سورة الإسراء.

٣٨- ابن حزم، نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٩.

ثانياً: أبو إسحاق الإسفراييني(٣٩):

ذكر العلماء أن أبا إسحاق الإسفراييني من الذين قالوا بالصرفة، لكني لم أعثر له على مصدر خاص به لكي أرجع إليه وأثبت كلامه بالنص. ومن الذين قالوا: إن أبا إسحاق قال بالصرفة عبد الحكيم السيالكوتي وحسن حلبي في كتابيهما **شرح المواقف مع حاشيته**، وعبد العظيم الزرقاني في كتابه **مناهل العرفان**.

جاء في **شرح المواقف**: "وقيل إعجازه بالصرفة على معنى أن العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل البعثة لكن الله صرفهم عن معارضته واختلف في كيفية الصرف فقال الأستاذ أبو إسحاق مِنَّا(٤٠) والنظّام من المعتزلة: صرفهم الله عنها مع قدرتهم عليها، وذلك بأن صرف دواعيهم إليها مع كونهم مجبولين عليها خصوصاً، عند توافر الأسباب الداعية في حقهم كالتقريع بالعجز والاستنزال عن الرياسات، والتكليف بالانقياد ..."(٤١).

وقال عبد العظيم الزرقاني: "يعزى بالقول بالصرفة إلى أبي إسحاق الإسفراييني من أهل السنة والنظّام من المعتزلة، والمرتضى من الشيعة ..."(٤٢).

الفصل الثاني: الرد على القائلين بالصرفة:

انطلاقاً مما سبق بيانه في الفصل الأول يتضح أن القائلين بالصرفة مذهبان:

٣٩- هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، متكلم عالم في الفقه والأصول، شافعي المذهب، كان يلقب بركب الدين، نشأ في إسفراييين بين نيسابور وجرجان، ورحل إلى العراق، توفي بنيسابور سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م. له كتاب **جامع في أصول الدين والرد على الملحدين** في خمسة مجلدات وتعليقة في أصول الفقه. انظر: ياسين صلاواتي، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط ١، س ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٠- من أهل السنة.

٤١- انظر: محمد بن حسن بن عقيل موسى، **إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء: دراسة نقدية مقارنة**، دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٠٤، ١٠٥. نقلا عن **شرح المواقف مع حاشيته** للسيالكوتي وحسن حلبي، ج ٢، ص ٤٢١.

٤٢- انظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج ٢، ص ٤١٤.

أولاً: مذهب يقول بأن التأليف والنظم في القرآن الكريم يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم وصرفهم عن المعارضة، ويمثله النظّام(٤٣) والرماني(٤٤) من المعتزلة، وابن حزم(٤٥) وأبو إسحاق الإسفراييني(٤٦) من أهل السنة.

ثانياً: ومذهب آخر يقول بأن وجه إعجاز القرآن هو صرف العرب عن معارضته بسلب العلوم التي كانوا بها يتمكنون من المعارضة، ويمثل هذا المذهب ابن سنان الخفاجي(٤٧) والشريف المرتضى(٤٨) من الشيعة. وقد أثبت أهل العلم بأن كلا المذهبين باطلان، ويمكنني أن أردّ عليهما رداً علمياً، فأبتدئ بمناقشة آراء المذهب الأول ثم أرد عليه، وهكذا بالنسبة للمذهب الثاني.

المبحث الأول: مناقشة آراء المذهب الأول القائلة بالصَّرف والمنع والرَّد عليها:

يظهر لي أن آراء القائلين بالصرفة في هذا المذهب الأول ليست على درجة واحدة من القول. فالنظّام معروف بفضائحه، فقد فضحه بذلك البغدادي(٤٩) في إحدى وعشرين فضيحة(٥٠)، فقوله بالصرفة لا يستبعد منه، وهو يحاول أن ينكر إعجاز القرآن بنظمه وصحة معانيه وفصاحته وبلاغته؛ ليصل إلى أن كلام الله ليس معجزاً، والمنع والصرف هو المعجز.

لكن الرماني بالرغم من أنه معتزلي إلا أن قوله بالصرفة أخف من قول النظّام

٤٣- سبقت ترجمته.

٤٤- سبقت ترجمته.

٤٥- سبقت ترجمته.

٤٦- سبقت ترجمته.

٤٧- سبقت ترجمته.

٤٨- سبقت ترجمته.

٤٩- هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التيمي البغدادي الشافعي، فقيه، أصولي، متكلم، أديب، مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م. انظر: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ج ٥ ص ٣٠٩.

٥٠- انظر: عبد القاهر البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص ١١٣- ١٣١.

حيث لم يروج لها كثيراً، بل لم يصَدِّرها بالكلام أثناء بيانه لأوجه إعجاز القرآن، فقد جعل البلاغة في مقدمة أوجه الإعجاز وتناولها بالتفصيل، ثم ذكر الصرفة من بين الأوجه، ولولا تصريحه بقوله: "وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة... وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز يظهر منها للعقول"(٥١)؛ لاعتبرته من بين الذاكرين لها ضمن أوجه الإعجاز من غير تبنٍّ.

وأما ابن حزم الأندلسي فهو يرى أن القرآن الكريم ليس في أعلى درجة بلاغة المخلوقين لأنه ليس من نوع كلامهم لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه، واعتبر وجه إعجازه راجعاً إلى أن الله منع الخلق من القدرة على معارضته.

وهذا هو المنع الذي قال به النظّام، ولكن ابن حزم قال ذلك ليس طعنا في الدين ـ فهو من علماء أهل السنة المدافعين عنه ـ لكن قال ذلك تمشيا مع مذهبه في نفي الرأي والحكم بظاهر القول من غير تعليل.

قال أبو زهرة بعد ما تكلم عن رأي ابن حزم في وجه إعجاز القرآن: "... وإن ذلك الكلام يبدو بادي الرأي غريباً من ابن حزم، ولكن المتأمل فيه يجده سائراً على مذهبه في نفي الرأي، والحكم بظاهر القول من غير تعليل، فالاتجاه إلى تعليل الإعجاز بأن السبب فيه بلاغته التي علت عن طاقة العرب ـ والتي جعلتهم يخرّون صاغرين بين يديه من غير مراء ولا جدال يعد تعليلاً، وهو من باب الرأي الذي ينفيه والتعليل الذي يجافيه"(٥٢).

وإذا كان أبو زهرة قد وجد مخرجاً لابن حزم في قوله بالمنع تمشيا مع مذهبه كما ذكر، فإن الرافعي اعتبر تفسير ابن حزم لكلمة الصرفة تفرداً منه لم يقل بكلامه غيره، فقال: "ولم نر أحداً فسَّرَ هذه الكلمة (الصرفة) كابن حزم الظاهري، فإنه قال في كتابه (الفصل)

٥١- انظر: الرماني، **النكت في إعجاز القرآن**، ص ١١٠.

٥٢- محمد أبو زهرة، **المعجزة الكبرى** (القرآن)، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٧٩.

في سبب الإعجاز: لم يقل أحد أن كلام غير الله تعالى معجز، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاماً له، أصاره معجزا ومنع من مماثلته... قال: وهذا برهان كافٍ لا يحتاج إلى غيره. نقول: بل هو فوق الكفاية، وأكثر من أن يكون كافيا أيضاً، لأنه لما قاله ابن حزم وجعله رأيا له أصاره كافيا لا يحتاج إلى غيره ...! وهل يراد من إثبات الإعجاز للقرآن إلا إثبات أنه كلام الله تعالى؟"(٥٣).

وأما أبو إسحاق الإسفراييني فقد جُعِلَ كلامه في الصرفة جنبا إلى جنب كلام النظام، لكن لم أقف على مصدر له أرجع إليه، وبالتالي فإن كلامي عنه راجع إلى ما ذكره عنه بعض أهل العلم(٥٤). ويمكنني أن أقول: إن كلام أبي إسحاق بالصرفة في إعجاز القرآن يعدُّ اجتهاداً أخطأ فيه، لكن يبقى مأخذاً مسجلاً عليه.

وبعد هذه المناقشة لأراء المذهب الأول، أنتقل إلى الرد عليهم إجمالاً مستنداً على ما ذكره أهل العلم؛ فأقول ـ وبالله التوفيق:

إن قول النظّام ومن تبعه بأن التأليف والنظم يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم وصرفهم عن ذلك يبطله إجماع الأمة وما عليه الجمهور والحذاق.

قال ابن عطية(٥٥): "فكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أن رصف القرآن ونظمَه وفصاحته متلقى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا تُحُدِّيت إلى ذلك وعجزت

٥٣- انظر: محمد صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص ١٤٦.

٥٤- انظر على سبيل المثال: الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج ٢، ص ٤١٤، وانظر: محمد بن حسن بن عقيل موسى، **إعجاز القرآن الكريم بين السيوطي والعلماء: دراسة نقدية مقارنة**، ص ١٠٤.

٥٥- هو عبد الحق غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، مفسر فقيه محدث عالم بالنحو واللغة والأدب، من أهل غرناطة، كان يكثر الغزوات في جيوش المرابطين، ولد سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م، وتوفي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٧م، من آثاره **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. انظر: ياسين صلاواتي، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**، ج ١، ص ١٠٤.

فيه، علم كل فصيح ضرورة أن هذا نبيّ يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به، إلا أن يخصَّ الله تعالى من يشاء من عباده، وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه، وإن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أيَّ لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى، تم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً. فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النظر يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن، فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم صُرفوا عن ذلك وعجزوا عنه. والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة واحد من المخلوقين"(٥٦).

وبعد ما ذكر القرطبي(٥٧) قول النظّام في الصرفة حكم عليه بالفساد استناداً على إجماع الأمة الذي ينص بأن القرآن هو المعجز وليس المنع أو الصرفة(٥٨). ويذهب السيوطي(٥٩) إلى أن القول بالصرفة يلزم زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة الذي ينص على أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن(٦٠).

٥٦- انظر: عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق وتعليق: الرمالي الفاروق وعبد الله إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال إبراهيم محمد الرافعي صادق العناني، الدوحة، قطر، ط ١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، ج ١، ص ٥٩، ٦٠.

٥٧- سبقت ترجمته.

٥٨- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١، ص ٧.

٥٩- سبقت ترجمته.

٦٠- انظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج ٤، ص ٧.

وقد ناقش القاضي عبد الجبار(٦١) وهو من رؤوس المعتزلة ـ القول بالصرفة وردّه رداً علمياً مقنعاً(٦٢). كما أبطل العلوي(٦٣) القول بالصرفة بثلاثة براهين، وكلامه في منتهى النفاسة وقد جعل البرهان الأول والثاني لإبطال المنع والصرف وخص البرهان الثالث لإبطال السلب(٦٤).

المبحث الثاني: مناقشة آراء المذهب الثاني القائلة بالسلب والرد عليها:

إن ابن سنان الخفاجي والشريف المرتضى متفقان على القول بالصرفة بمعنى أن الله سلب من العرب المشركين العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة ليكتبوا مثل القرآن.

وبالنظر في هذا القول يتضح أنه أوهن من بيت العنكبوت، لأنه كيف يعقل أن تسلب العلوم من عقول المشركين، ولم يعلنوا عن ذلك، كما أن التاريخ لم يسجل لنا قولهم في ذلك وهم ألدّ أعداء الإسلام والمسلمين، حيث وقفوا في وجه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفي وجوه أصحابه الكرام، وضايقوا عليهم في عبادتهم ولم يتركوا لهم بابا مفتوحاً لتبليغ الدعوة، بل وصل بهم الأمر إلى قتالهم ومحاولة التخلص منهم. قال تعالى: {**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِيُثْبِتُوْكَ أَوْ يَقْتُلُوْكَ أَوْ يُخْرِجُوْكَ وَيَمْكُرُوْنَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْنَ**}(٦٥). كذلك فإن سلب العلوم ونسيان الصيغ المعلومة في تعبير الكلام يدل على زوال العقل، لكن العرب ما أصاب عقولهم الزوال كما يشهد التاريخ بذلك، وبالتالي

٦١- هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار أبو الحسن، قاضٍ أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، توفي سنة ٤١٥هـ/١٠٢٥م، من مؤلفاته **المغني في أبواب التوحيد والعدل**. و**شرح الأصول الخمسة**. انظر: الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٢، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٢٧٣.

٦٢- انظر: القاضي عبد الجبار، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، دار الكتب، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ج ١٦، ص ٢١٥-٢٣٥.

٦٣- لم أقف على ترجمته.

٦٤- انظر: العلوي، **الطراز**، ج ٣، ص ٣٩٢- ٣٩٥.

٦٥- سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

فهذا ادّعاء باطل لا أساس له من الصحة.

يقول ابن القيم(٦٦) رداً على قولهم بسلب العلوم: "إن نسيان الصيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل ومعلوم أن العرب مازالت عقولهم بعد التحدي فبطل أن يكون الإعجاز بالصرف، بل الإعجاز ليس بالصرف"(٦٧).

واعتبر ابن كثير(٦٨) أن القرآن الكريم معجز من جهة الفصاحة والبلاغة والنظم والتراكيب والأساليب والأخبار الماضية والمستقبلية ... وردّ على من زعم أن إعجاز القرآن بالصرف أو بسلب القدرة عن المعارضة، وذكر بأن الخلق كلهم وحتى الأنبياء وهم أفصح الخلق وأعظمهم وأكملهم لن يقدروا أن يتكلموا بمثل القرآن الكريم(٦٩).

كما ردّ الباقلاني(٧٠) القول بالصرفة أو بسلب العلوم وذكر أنه لو كانوا قد صرفوا على ما يدعي المدعي لم يَكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم.. فما لم يوجد في كلام من قبله مثله عُلِمَ أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان(٧١).

٦٦- هو محمد بن أبي بكر شمس الدين أبو عبد الله المعروف بابن قيّم الجوزية ... ولد بدمشق سنة ٦٩١م وتوفي سنة ٧٥١هـ، انظر: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٦، ص ١٦٨-١٧٠.

٦٧- ابن قيم الجوزية، **كتاب الفوائد: المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، ص ٣٤٤.

٦٨- هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، صاحب **التفسير والبداية والنهاية في التاريخ** .. ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: جمال الدين يوسف الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج ١١، ص ١٢٣.

٦٩- انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، دار أبي حيان، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج ٦، ص ٨٨.

٧٠- هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر، قاضٍ من كبار علماء الكلام، ولد سنة ٣٣٨هـ/٩٥٠م وتوفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٦، ص ١٧٦.

٧١- انظر: أبو بكر الباقلاني، **إعجاز القرآن**، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٤٥.

وصرَّح الرافعي[٧٢] بأن قول المرتضى[٧٣] بالصرفة وتفسيرها بسلب العلوم في منتهى الخلط[٧٤]. كذلك فإن عبد العظيم الزرقاني[٧٥] ردّ كلام الخفاجي والمرتضى ودَفَعَ شبهتهما، كما رد على القائلين بالصرفة عموماً[٧٦].

وقد تكلم الدكتور مصطفى مسلم[٧٧] عن موضوع الصرفة ورده ردّا علمياً مفيداً، واستفسر قائلاً: "... فهل أحسن النظّام والمرتضى بما وصفوا العرب به من صرف وسلب؟ فلماذا لم يأتيا بمعارضة للقرآن، وكان النظّام من الأذكياء الماهرين ... والمرتضى مشهود له أنه كان من فرسان البلاغة والبيان؟

إننا نقول: إن تحدي القرآن وإثبات العجز للناس ليس مقتصراً على عهد النبوة فقط بل هذا التحدي قائم، وهذا العجز من البشر ثابت إلى قيام الساعة. فمن قال بالصرفة فليحاول هو، وهل يحس بشيء من الصرف أو السلب في نفسه[٧٨].

الخاتمة:

نتائج البحث:

إن أهم النتائج التي توصلت إليها من جراء هذا البحث ما يلي:

١- إن أهم أوجه إعجاز القرآن الكريم تكمن في الأسلوب والنظم والفصاحة والبلاغة وأنباء الغيوب المستقبلية.

٢- الصرفة لا تعد من وجوه الإعجاز إطلاقاً.

٧٢- سبقت ترجمته.

٧٣- سبقت ترجمته.

٧٤- انظر: الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص ١٤٤.

٧٥- سبقت ترجمته.

٧٦- انظر: الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج ٢، ص ٤١٤- ٤١٩.

٧٧- أستاذ مشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (معاصر).

٧٨- انظر: مصطفى مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ص ٦٠، ٦١.

٣- يعود القول بالصرفة إلى العصر العباسي حينما تأثر بعض المتكلمين والفلاسفة من المسلمين بالأفكار الهندية الدخيلة عليهم.

٤- أجمعت الأمة الإسلامية على أن القرآن الكريم هو المعجز وليس المنع أو الصرف.

٥- إن القول بالصّرفة يلزم زوال الإعجاز بزوال زمن التحدي وخلو القرآن من الإعجاز في أي زمن خرق لإجماع الأمة.

٦- يعتبر النظّام من الذين اتخذوا موقفا من القرآن مخالفا لما تقرّر عند الجمهور واستفاض في النصوص، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه وقال بالصرفة، فكفّره جماعة من علماء فرقته المعتزلة كما كفّره جماعة من علماء أهل السنة.

٧- إن قول ابن حزم بالصرفة راجع إلى سيره على خُطَا مذهبه في نفي الرأي، والحكم بظاهر القول من غير تعليل.

٨- إن قول أبي إسحاق الإسفراييني بالصرفة اجتهاد أخطأ فيه، ومأخذ سجل عليه.

٩- إن قول الرماني بالصرفة تابع لرأي القائلين بها من فرقته المعتزلة لكن قوله لا يساوي قول النظّام في الإثم، حيث أنه لا ينكر بالصرفة وجه البلاغة والنظم في الإعجاز كما فعل النظّام بل اعتبر البلاغة أهم وجه من وجوه الإعجاز القرآني.

١٠- إن آراء الخفاجي والمرتضى من الشيعة في القول بالصرفة كانت نتيجة تأثرهما بأفكار المعتزلة في ذلك، وكَلاَهُمُا مردود عليهما.

١١- إن التحدي بالقرآن ليس خاصا بعصر النبي صلى الله عليه وسلم بل هو باقٍ إلى قيام الساعة، وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة باقية سوى القرآن الكريم.

١٢- رافق القول بالصرفة القول بإعجاز القرآن الكريم وبيان أوجه إعجازه، وبالتالي فإن الصرفة دفعت العلماء إلى دراسة كتاب الله تعالى لإظهار أسلوبه ونظمه وفصاحته وبلاغته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❊ ❊ ❊ ❊